**رواد مدرسة بيرمنغهام٭**

وجهات النظر المطروحة في الدراسات الثقافية تضرب بجذورها في نظريات مؤسسي مركز برمنغهام ، الذين قاموا بوضع الحجر الأساس للبنية الفكرية فيه ، ومن أهم هؤلاء المفكرين والمؤسسين لهذا المركز نذكر منهم :

**أ –ريتشارد هوجارت Haggart Richard 1918 م:**

أكاديمي بريطاني عرف بدراساته التحليلية وبحوثه التي تطرق فيها إلى دراسة تأريخ الطبقة العاملة ، وهو أول من أشرف على إدارة مركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة في بريطانيا وكانت له اليد الأولى في نشأة هذا المركز.[[1]](#footnote-1)

عمل مدرسا للأدب الإنجليزي في مدارس ثانوية خاصة بكبار السن منذ عام 1946م إلى 1959م، وتجدر الإشارة إلى أن طلاب هذه المدرسة حرموا من مواصلة دراستهم في المدارس العامة نظرا لفقرهم أو لأسباب أخرى[[2]](#footnote-2)

وإثر احتكاكه بهذه الفئة الاجتماعية التي كانت تعيش ظروفا صعبة والتي تتلاءم مع طبيعة معيشته ، ألف أهم كتبه وهو كتاب أغراض محو الأمية ، لذا يمكن اعتباره مرآة لتجربته الشخصية أكثر من أي كتاب آخر ، والسبب في ذلك يعود إلى أن كلامه في الكتاب المذكور كان موجها للشريحة التي درسها في مدارس كبار السن (....) ويمكن القول أن أهم إنجاز لهذا المفكر الغربي يتمثل في نجاحه بطرح مباحث أدبية تحليلية ضمن العديد من الإصدارات الثقافية كالصحف والمجلات ومختلف الآثار الأدبية التي تستهوي عموم الناس وتتناسب مع شتى الأذواق في المجتمع.[[3]](#footnote-3)

وقد تضمن الكتاب المذكور دراسة تحليلية وشرح مفصل عن الطبقة العاملة في المجتمع قبل الحرب العالمية ، وقد كان له تأثير في مجال الدراسات الثقافية ، حيث احتل مكانة هامة لدى الباحثين ، واعتبروه مصدرا مرجعيا وفكريا يمكن الاعتماد عليه في البحوث والدراسات العامة التي تدور مواضيعها حول وسائل الإعلام والثقافة العامة ، وبهذا أصبح مرتكزا أساسيا لوسائل الإعلام.[[4]](#footnote-4)

**ب- ريموند ويليامز Williams Raymond(1921-1988م):**

ينحدر من الطبقة العاملة على غرار ريتشارد هوجارت ، وقد انخرط في بادئ حياته المهنية في التدريس بمدارس كبار السن .[[5]](#footnote-5)

لهذا المفكر البريطاني العديد من المؤلفات أهمها : الثقافة والمجتمع ، الثورة الطويلة ، العلاقات والتلفاز ، التنمية والنمط الثقافي ، الماركسية والآداب ، الكلمات والمفاتيح ..من هذه الكتب كلها هناك كتابان يعتبران أمه نتاجين في مسيرته الفكرية وهما : الثقافة والمجتمع والثورة الطويلة ، حيث تطرق فيهما إلى شرح وتحليل العديد من المسائل والمواضيع التي أصبحت اليوم مرتكز الدراسات الثقافية ، كما ساهم أيضا بشكل كبير في نشأة هذه الأخيرة .[[6]](#footnote-6)

لذا يمكن الاعتماد على تراثه الفكري الذي تبلور في مختلف آثاره لمعرفة المسيرة التاريخية التي قطعتها الدراسات المشار إليها ، لكنها مع ذلك لم يكن لها تأثير بالغ على صعيد مناهج البحث العلمي من منطلق أنها ارتكزت بشكل محدود على المبادئ البنيوية و السيميائية التي كانت ذات أهمية بالغة بالنسبة إلى الباحثين المختصين بالدراسات الثقافية إبان عقدي السبعينات والثمانينات من القرن المنصرم.[[7]](#footnote-7)

هذا المفكر الغربي اعتبر وسائل الإعلام العامة : خطرا يهدد كيان الثقافة المشتركة والنهضة الديمقراطية ، وهذا ما يظهر لنا في بعض آثاره ككتابي : العلاقات والتلفاز ، والنمط الثقافي ، كما نجده وجه أفكارا نقدية للفكر الماركسي وهذا ما نجده في كتابه الماركسية والآداب.

ومن هذا نستنتج أن ريموند وليامز تبنى رؤية ثقافية مادية ، حيث ربط الثقافة بشتى القضايا الاقتصادية والسياسية وبجميع جوانب الحياة البشرية.[[8]](#footnote-8)

**ج- إدوارد بالمرتومبسون(1924-1993م):**

المؤرخ والباحث البريطاني إدوارد تبنى فكرا اشتراكيا ، وكان لنشاطه الفكري تأثير ملحوظ في نشأة برمنغهام للدراسات الثقافية ، حيث ألف العديد من الآثار الثقافية ، وكانت سيرته العلمية على غرار سيرة صديقة وزميله في العمل ريموند وليامز ، فقد تصدى إلى تعليم الطبقة العاملة .

يعتبر هذا الباحث الغربي أحد مؤسسي الحركة اليسارية الجديدة التي اجتاحت الساحة البريطانية في عقد الستينات ، كما ساهم بشكل كبير في إصدار مجلة اليسار الجديد .أشهر كتاب له هو {صنع الطبقة العاملة الإنجليزية} الذي حلل فيه مراحل نشأة الطبقات الاجتماعية ، كما وضح فيه طبيعة الوعي الطبقي الذي يتحقق على ضوء العمل والدين والأعراف والنشاطات السياسية ، فعند النظر في تراثه الفكري نجد أنه ركز على قدرة المواطن البريطاني وشتى التوجهات الفكرية والعلمية السائدة في بريطانيا .ففي كتابه المذكور نجد أنه سلط الضوء على بعض الشرائح الاجتماعية التي كانت مهمشة من قبل الباحثين في الأوساط الفكرية .

وبهذا فقد ساهم هذا المفكر في فرض المبادئ الماركسية على الدراسات الثقافية حين ظهرت في الساحة الفكرية ، لكن تميزت وجهة نظره بأنه اعتبر الطبقة العاملة ظاهرة تاريخية يساهم الناس في إيجادها.

كما كانت له مداخلات جادة في المناظرات السياسية والنقاشات الثقافية ، حيث يؤكد فيها على ضرورة مكافحة التسلح النووي ووجوب العمل لاستئصاله من العالم.[[9]](#footnote-9)

**د- ستيوارت هول Hall Sutart(1932-2014م) :**

المفكر ستيوارت أحد أهم وأشهر رواد الفكر التثقيفي الجماهيري في بريطانيا بعد عقد الخمسينات من القرن الماضي ، (....) وفي عقد الستينات أصبح عضوا في مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنغهام ثم تولى إدارة هذا المركز خلال الأعوام من 1968م إلى 1979م ، حيث انصرف بعد ذلك إلى التدريس في فرع الاجتماع بالجامعة البريطانية المفتوحة .[[10]](#footnote-10)

فيما بعد أصبحت آراءه مادة دسمة يتابعها الكثير من الباحثين وغيرهم خصوصا فيما أسماه بالظاهرة التاتشيرية ودروسه التي كانت مواضيعها تدور حول الخطاب العام ورؤيته التي طرحها في مختلف وسائل الإعلام التي اتسمت بالدقة.وبهذا فقد كان له دور بارز في إعادة صياغة الفكر السياسي والسلوكي للحركة اليسارية في بريطانيا وسائر البلدان الأخرى.

أول كتاب له كان بعنوان {الثقافة عندما تساعدنا في استكشاف هوياتنا }، وقد بين في هذا الكتاب طبيعة الثقافة التي تستهوي عامة الناس وأكد على أهميتها ، لكن آثاره الفكرية كانت أكثر نضجا وتجاوزت أطر الفكر الاشتراكي الموروث من آراء ونظريات هوجارت ووليامز وتومبسون ، إذ أنه اعتمد على الإنجازات الفكرية المعاصرة في البلدان الأوروبية كالنظريات البنيوية التي طرحت من قبل لويس ألتوسير وآثار غرامشي رائد الفكر الماركسي ، وبهذا جاءت نظرياته تتمحور حول قضايا سلطوية إيديولوجية ، أي أنها تتمحور حول مدى تأثير الثقافة على الحياة اليومية وكيف تساهم في تنظيمها ، فستيوارت هول لم يؤلف كتابا مستقلا في هذا المجال ، لكنه كتب العديد من المقالات في هذا الصدد ، يعتبر تراثه الفكري نقطة التقاء بين القومية والإمبريالية في الثقافة المعاصرة ، إذ تحدث في بعض مؤلفاته عن أوضاعه الشخصية باعتباره مواطنا بريطانيا أسود البشرة.[[11]](#footnote-11)

في أواخر عقد السبعينات وخلال عقد الثمانينات من القرن المنصرم انصرف ستيوارت هول إلى دراسة وتحليل الأسس السياسية والإيديولوجية الكفيلة بنجاح حكومة المحافظين في بريطانيا والحركة الجماهيرية التاتشرية التي حاولت بسط نفوذها في الأوساط السياسية هناك .[[12]](#footnote-12) وبهذا اعتبر ستيوارت هول مفكرا فاعلا وبارزا في الساحة البريطانية بالرغم من تبنيه النزعة الجدلية واتخاذها منهجا له.

1. حسين حاج محمدي : مدرسة بيرمنغهام ، ص98. [↑](#footnote-ref-1)
2. المرجع نفسه : ص99. [↑](#footnote-ref-2)
3. المرجع نفسه : ص-ص 99-100. [↑](#footnote-ref-3)
4. ينظر : حسين حاج محمدي ، مدرسة بيرمنغهام ، ص 100. [↑](#footnote-ref-4)
5. ينظر : المرجع السابق ، ص101. [↑](#footnote-ref-5)
6. ينظر : المرجع نفسه ، ص101. [↑](#footnote-ref-6)
7. المرجع نفسه : ص101. [↑](#footnote-ref-7)
8. المرجع نفسه : ص ص102-103. [↑](#footnote-ref-8)
9. ينظر : حسين حاج محمدي ، مدرسة بيرمنغهام ، ص-ص 102-103. [↑](#footnote-ref-9)
10. المرجع نفسه ، ص106. [↑](#footnote-ref-10)
11. ينظر : حسين بن الحاج ، مدرسة بيرمنغهام ، ص-ص 106-107. [↑](#footnote-ref-11)
12. المرجع نفسه : ص108. [↑](#footnote-ref-12)